الفصل الثانى

لفت انتباهي خلال ذهابي وعودتي من المدرسة

نظرات الإعجاب في عيون الشباب بدأت أشعر أني كبرت وهناك من ينتظر قدومي ويتلهف لرؤيتي

ومن بين تلك العيون جذبتني عينا شاب يقف على باب بيته، أراه في ذهابي وعودتي من المدرسة، وكأنه ينتظر مروري، كنت ألحظ نظراته تحط دائما على وجهي، بدأت ملامحه ترسم بمخيلتي، بهيّ الإطلالة، وسيم، في العقد العشرين من عمره، أنيق الملبس، قوي الشكيمة، طويل القامة، له نظرات جذابة كنت أسترق النظر إليه دون أن يتنبه، أشيح بنظري كلما وجدت نظراته تخترقني.

إلى أن أتى يوما وتجرأ فيه ومر من أمامي ورمى ورقة على الأرض، وما كان مني غير أن أوقع حقيبتي وقمت بأخذها لألتقط تلك الورقة، وشعرت باحمرار وجنتاي حين سَرت تلك الحرارة

بوجهي، تسارعت خطاي على غير عادتي للوصول إلى البيت، كان هدفي الوصول لغرفتي..لأنفرد بتلك الورقة وعلى عجل دخلت البيت بحالة دهشة، صعدت غرفتي وفتحت الورقة ونالت من جسدي تلك الرعشة وأنا أقرأ:

«حبيبتي فكرت... وفكرت مليًا.. ما أقول في سحر عينيك واختراقها جدار قلبي. حبيبتي كل مافيك يستهويني، لا يكتمل يومي سعيدًا مشرقًا دون رؤيتك، لقائي بك بمثابة عودة الروح إليّ... أنتظر.. أنتظر ولا أمل انتظارك. عاشق عينيك

«**حازم**» ... بانتظار شروق يومي حين لقياك....أحبك.

أعدت قراءة الورقة مرارًا بنهم، لعلّي أجده بين السطور، وضعت كفاي على عيوني وارتحلت كأني أسافر في الزمن فوق سحابة من الذهول، يتخللها رعشة وكثير من الزهو، أمضيت يومي بين جسد آلي يتحرك وروح مسافرة حيث حروف تهيم بها روحي وترددها أنفاسي مع الشهيق والزفير، ماكان مني إلا أن أنهي ماكان عليّ القيام به وأستلقي في سريري بانتظار اللقاءِ الأول بعد ما دغدغ مشاعري بتلك السطور.

وغفوت في ليلتي تلك وأنا أعوم بين تلك الكلمات لاأمل ترديدها، كان صباحًا مشرقًا ينهمر من ظلال صفصافة ترقص أوراقها تحت أقدام العصافير ولكن الحكاية لا تنتهي مع الصباح

ولاينتهي هنا الكلام المباح، نهر الجنون كان عندي لاينضب، تتراقص أفكاري بين ثنايا جسدي وتنتظر مجهول أتوق له لما ملأ روحي بنشوة عارمة تمتلكني، وكان اللقاء به حين ذهابي للمدرسة هذا الصباح مختلفا، تلك النظرات أعرفها همست لها في ليلتي تلك، عانقتها هذه المرة، لم أتجاهل نظراته، كانت ابتسامتي تخبره أني سعيدة بمشاعره ومغتبطة باهتمامه، وبريق عينيه، ومشى ورائي كظلي حتى وصلت المدرسة.

وفي الدرس كنت دائمة الشرود، ترتسم على ثغري ابتسامة لاعلاقة لها بزمن الدرس ومحتواه، أمسكت الورقة والقلم وبدون إذن مني خط قلمي تلك السطور:

الألم يعن في صدري

والحب يجن في قلبي

والعالم كله لايدري

وحبيبي أيضا لايدري

هي صرخات الحب تئن تناديني

تتعارك في قلب.. في عقلي..في جسدي تكاد تهشمه

أوماذا يظن أيقتلني؟

أم أنه يود إخضاعي بين يديه

باسم الحب المشتعل

تبًا لك من حب متعب

تبًا لك من قلب قاسٍ

تعال إلي لأضمك بين ذراعي

وألثم شفتيك بشراهةمتعطشة

للحب...للحب الصافي لك وحدك

أنا..وأنت..ولاشيء دوننا ياحبيبي

وهنا أشعر بالعالم من حولي يفتخر.. يمجد لي حبي

حبي الصادق لك وحدك...أنا وأنت ولا شيء دوننا ياحبيبي

ومن ذاك الحلم أفقت على ألم في رأسي إنها مدرسة العلوم، أستوقفها شرودي وغرقي بين ورقتي وقلمي وهي تشرح الدرس قرأت ماكتبت وراعها حين رأت تلك الحروف.. وبعد انتهاء الدرس أخذتني لغرفة الإدارة ونالني من المديرة من التوبيخ على شرودي وعلى تلك السطور التي اعتبرتها مخلة للأدب، ولكن استطعت أن أتدارك الموقف، مع دموعي ورجائي.

طلبت مني كتابة تعهد على عدم كتابة أي شيء خارج حدود الدرس، وأنا أرتعد خوفا من أن تطلب حضور والدي، ولكن الحمد لله بعد رجائي وتوسلاتي نزلت عن طلبها رحمة منها.

وعدت لمتابعة دروسي وتمضية ذلك اليوم الصعب، وفي طريق عودتي للمنزل لم أر حلمي، وهذا مازاد في غضبي وتوتري، وهكذا أمضيت يوم احتله الأرق والوحدة.

والدتي خارج المنزل وهذا الطبيعي، وهزار مع خطيبها أغلب الوقت بين لقاء وهاتف، ولمى دائمة الشرود هادئة، تارة مرحة، وتارة لا أعرف ما يدور في دواخلها، تنكب على دروسها هاربة من كل ما يحدث حولها. لكل عالمه الخاص.

في المساء نجتمع وتعد والدتي أشهى الطعام وتكون أكثر من متألقة برشاقتها وجمالها. نعلم أن خالي العزيز قادم لزيارتنا، نتناول العشاء، وجوده كان يضيف جو المرح في سهرتنا ولا تخلو من بعض المداعبات، يمسك يد لمى ويتحسس ساقي بتودد، كنت أخشى أن أفكر أكثر مما يجب أو أتعب رأسي بما يجري ربما لأني لا أريد أن أساوي كل الرجال بقريب والدي، وتنتهي السهرة وكل منا يذهب لسريره وتبقى والدتي مع خالي، ووالدي، يعتذر ويذهب للنوم بحجة عمله باكرًا.

أهرب من أفكار تأخذني من غموض لغموض أكبر؛ لذلك ألوذ بالهرب من تلك الصور الغامضة.

وأعود لحروف حازم وتلك النشوة التي زرعتها حروفه داخلي، غفوت عليها للصباح على أمل أن تعانق عيوني حازم، وأشرقت شمس هذا اليوم مختلفة، كل ما فيه مختلف، الياسمين يبستم، العصافير صوتها أجمل. خرجت من المنزل كفراشة لا أمشي مشيا عاديا، كان جسدي خفيفًا وكأني أرقص على تغريد العصافير، والتقيته واقفًا ينتظرني وقد اكتسى وجهه باللون الأحمر حين مررت بالقرب منه. أسير إلى الأمام وأشيح برأسي للوراء بحركة متناغمة وأعود للسير للإمام وشعري يتناثر مع كل التفاتة. كنت أقصد كل حركة أقوم بها، سمعت صوت خطواته يسير ورائي أدركتنى حينها رعشة...وكانت تلك الشهقة من أعماقي، تذوقت لأول مرة نشوة جديدة فيها متعة من نوع آخر، توقفت عند إحدى المكتبات أريد أن أشتري قلمًا وكان هدفي التخلص من صديقاتي، وهذا ما حدث لم يدخلوا معي المكتبة بحجة أنهم تأخروا عن المدرسة. اشتريت القلم وخرجت، كان يمشي حازم بجواري اقترب أكثر، وهمس بصوت دافئ:

- أحبك..هل يمكن أن نذهب لمكان ما نتحدث.

ماكان مني إلا أن ابتسمت، دون أن أنظر إليه أو أتوقف عن المسير،

أردف قائلًا:

انتظريني عند أول الشارع.. ريثما أحضر سيارتي. وذهب وكأن ابتسامتي هي الموافقة التي ينتظرها، أكملت سيري لنهاية الشارع لم يراودني الخوف.. كنت أريد سماع الكثير من همسه الجميل، شاردة أقف إلى أن أتى حازم وفتح باب السيارة، ركبت بجواره وانطلق مسرعا وأنا أتلفت يمينا ويسارًا.

قال حازم:

- ما بالك..

أجبته بصوت يرتجف

- أخاف أن يراني أحد..

- لاتخافي حبيبتي لاأحد يراكِ وأنا أسير على تلك السرعة

- والمدرسة، ماذا أقول لوالدي عن غيابي،

- حبيبتي لا تحرمينا من هذه اللحظات، التي طالما حلمت بها، تذهبين للبيت فى موعد الانصراف وفي المدرسة أخبريهم انك كنت مريضة

«شغل موسيقى هادئة»

- هل يوجد مكان معين تودين الذهاب إليه؟

- لاأعلم، لنبقى في السيارة

«علت وجهه ابتسامة»

سألني

-مازلتِ خائفة؟

- لأول مرة أخرج مع أحد لا أعرفه

-لاتعرفيني !!

- أنا أحبك وأتابعك منذ وقت طويل، ألم تشعري بي كل هذا الوقت.

«كنت أحرك أصابع يدي بتوتر وأنا أضع حقيبتي على حضني»

تناول الحقيبة ووضعها على المقعد الخلفي، وأمسك يدي حاولت سحبها ولكنه أطبق عليها بكل حب، وكأنه يرجوني

«دعيها لي» سرت حرارة في جسدي هي بين النشوة والخوف.

تاهت مني مشاعري للحظات، وفي أحد الشوارع الهادئة أوقف السيارة واستدار نحوي وأخبرني أنه منذ وقت وهو يأمل هذا اللقاء وكان له بمثابة حلم.

والغريب أني أنا لم أكن أتصور أني أمتلك تلك الجرأة، واقترب مني أكثر شعرت بأنفاسه حارة تقترب مني وقلبي يخفق ويده مطبقة

على يدي، حط ثغره على ثغري بهدوء، لحظات كوميض البرق وحين لمست شفاهه ثغري شعرت بغثيان وتحول كل ما بداخلي من رعشة وخفقان إلى رغبة أن يبعد ثغره عني، وكادت أنفاسي تخنقني..

انتفضت مبتعدة عنه، تغيرت نظراتي ونبرة صوتي، لم أعد أرى أمامي ذاك الشاب الذي حلمت بحروفه طوال ليل بكامله.. وأصبحت أشبه بقطة شرسة..

-أرجوك حازم أنا عايزة أرجع البيت.

«أصابه جمود الحيرة لم يعرف ماذا حدث وأي تحول طرأ علي.

-مابك حبيبتي؟

- لاشيء فقط أريد الذهاب، وترافق ذلك مع دموعي التي انهمرت.

-حسنا لاتبكِ سنعود للمنزل.

وقبل وصولي إلى حارتنا، طلبت منه أن يقف، نزلت من السيارة دون أن ألتفت ورائي وركضت مسرعة للبيت، دخلت غرفتي واستلقيت على فراشي تنتابني رجفة برد كصقيع كانون تسربت إلى مسام جلدي،

وهنا كانت نهاية علاقتي بحازم